**المستوي:** السنة أولى ماستر **التخصص:** تاريخ و حضارة بلاد المغرب القديم

**السنة الجامعية:** 2024 / 2025 **السداسي السابع**

**المقياس:** الحضارة الليبية البونية **أستاذ المقياس:** محفوظ خالد

**المحاضرة رقم 06: مملكة الغرامنت (Garamantes)أو حضارة الصحراء الليبية**

يُعتبر المؤرّخ هيرودوت أوّل من ذكر الغرميون كشعب من شعوب القارة الليبية محاولا تحديد موقعهم الجغرافي مشيرا إلى أصولهم، ليليه الجغرافي بطليموس الذي عاش في الإسكندرية خلال القرن الثاني بعد الميلاد، الذي ذكر موطن الغرامنت في مؤلفه الجغرافيا ،حيث اعتبرهم من الشعوب الرئيسية في ليبيا الداخلية.

**أ- المجال الجغرافي لمملكة الغرامنت:**

يعتبر إقليم فزان جنوب ليبيا الحاليّة و الذي يشمل بعضا من الصحراء الوسطى الشرقية للجزائر ، الموطن الأصلي للغرامنت، حيث امتدّ قديما من إقليم برقة و واحة الكفرة شرقا إلى غاية العرق الشرقي الكبير بصحراء الجزائر غربا، أمّا شمالا فتحده جبال نفوسة و تدخل فيها مرتفعات جبال الصالحات و مسلاتة ، و وادي زازمت و واحة بونجم و جالو ( **Djalo** )، وجنوبا يصل إقليم فزان إلى غاية هضبة تيبستي و جبل طومو الفاصل بين ليبيا و التشاد.

تحدّث العديد من الجغرافيين القدماء عن الموقع الجغرافيّ للغرامنت ، ومن بينهم نجد سترابون (**strabon** 60 ق.م – 20 م) الذي حدّد في مؤلفه الجغرافيا الموقع الجغرافي للغرامنتيين شمال الإثيوبيين في أغلب جهاته وإلى جوارهم الفيروسيون والزنوج، أمّا إلى الشمال منهم فتقع أرض الجيتول،ويضيف معلومات أخرى في الكتاب السابع عشر (**Geography**) قائلا :" وراء الشاطئ الممتد من قرطاجة إلى أرض الماسيليين تقع أرض الليبو-فينيقيين الممتدة حتى أرض الجيتوليين الجبلية حيث تكون الأرض الليبية ، أما الأرض التي وراء أرض الجيتوليين تكون أرض الغرامنتيين (**Garamantes** ) وهي موازية للسابقة ومنها يجلب الكارخيديون (القرطاجيون) الأحجار ويُقال أنّ الغرامنتيون يبعدون عن الإثيوبيين المجاورين للمحيط برحلة تسعة أو عشرة أيام ، ويبعدون عن آمون (واحة سيوة) خمسة عشر يوما".

بينما المؤرخ الإغريقي هيرودوت (481 ق.م – 421 ق.م؟) يصف لنا الغرامنتيين بالشّعب العظيم العدد،الذي يسكن على بعد يقدّر بعشرة أيام من أوجلة التي تقع غربهم ،و يبعدون عن موطن اللوطوفاج بمسافة تقدّر بثلاثين يوما سير،كما يعتبرهم من الشعوب التي تقطن المناطق الداخلية لليبيا، وتقع بين الكثبان الرملية لمصر العليا و مضيق جبل طارق أي أعمدة هرقل.(أنظر الخريطة رقم 01 )

محاضرات الأستاذ خالد محفوظ

**الخريطة رقم 01:**

**ب- أصل الغرامنت:**

تعدّدت الآراء حول أصل سكان مملكة الغرامنت بين من يعتبرهم وافدين و من ينظر إليهم كسكّان أصليّين متجذّرين بالمنطقة . فالمصادر لم تحدّثنا عن أصلهم كما أنّها لم تعطنا سوى بعض الإشارات المبهمة حولهم، في حين تحدث هيرودوت عن الشعوب الأصلية في قارة ليبيا، فيقسّمهما إلى شعبين الليبيين و الإثيوبيين و أثناء عرضه للقبائل الليبية تطرّق إلى قبيلة الغرامنت التي اعتبرها منهم، أي من الأمم الأصلية في المنطقة.

من بين الآراء المحدثة التي تعتبرهم وافدين من المشرق نجد الرأي القائل بالأصل إلى هجرات مشرقيّة قد تكون قدمت من الجزيرة العربية أو من منطقة المشرق القديم ، مرتكزا في رأيه هذا على العلاقات الحسنة التي جمعت الفينيقيين بالليبيين حسب رأيهم،كما يُرجع البعض الأخر الأصل الفلسطيني حيث هاجروا إلى مصر بعد هزيمتهم على يد ملك اليهود داوود النبي، الذي قتل ملكهم جالوت فتشرّدوا في الأرض واتّجهوا إلى أرض مصر، لكنّ المصريّين لم يمكّنوهم من الاستقرار هناك ، فاتّجهوا إلى شمال ليبيا ليستقروا به فلم تسمح لهم القبائل الليبية بذلك مما اضطرّهم للاتجاه جنوبا.

كما نجد من ينسبهم الى شعوب البحر، و أنهم هاجروا بعد الزّلازل التي ضربت مدنهم إلى جنوب البحر الأبيض المتوسط ابتداء بفلسطين وسوريا إلى الإقليم الشرقي لليبيا، هاجموا مصر فتصدّت لهم وذلك في عهد مرنبتاح (1235

الأستاذ خالد محفوظ

ق.م – 1224 ق.م؟)، حيث استقرّ جزء من هذه القبائل بليبيا ثم اتجهوا بعدها جنوبا ممّا اضطرّهم للاتجاه للداخل إلى وادي الآجال.

بينما المعطيات الأثرية والأنثروبولوجية دلّت على تواجد الإنسان في إقليم فزان منذ فترات تمتد ما بين عشرة آلاف إلى ثلاثة أو أربعة آلاف سنة مثلما نجد بمنطقة تادرارت أكاكوس، حيث تثبت تواجد السكان المحليين بإقليم فزان قبل أيٍّ من الهجرات التي تحدّث عنها أصحاب الأصل المشرقي أو الأوروبي، لكنّها لا تنفي إمكانية حدوث هذه الهجرات و اندماج الشعوب الوافدة مع السكان المحليين فيما بعد.

إضافة لوجود رأي آخر يعيد الغرامنت إلى أصل ليبي محليّ، حيث يرجّح علي كسار الغزالي* الأصل الليبي للغرامنت ، استنادا لبعض الدراسات العلمية التي أكّدت أوجه التّشابه الموجودة بين الغرامنت وسكان الصحراء الغربية لمصر، كذلك أوجه التّشابه بينهم وبين الطوارق المعاصرين لهم ، كما وجد البعض أيضا أصلا مشتركا بين الغرامنت و قبائل التمحو سكان جنوب ليبيا . و يُعتقد أيضا أنّ قبائل القرعان الحالية التي كانت منتشرة في القرن السابع عشر ميلادي تمثل سكان واحة فزان الغرامنتيين ، مما يعني أنّ انتشار القبائل الليبية كان واسعا، حتى إنّهم وصلوا إلى نهر النيل فأثّروا وتأثّروا بأهله. (أنظر الخريطة رقم 02)

الرأي القائل بالأصل الليبي للغرامنت أو لنقل الأصل المحلي لليبيين ، هو رأي تدعمه الأبحاث الأنثروبولوجية مثلما أسلفنا الذكر. غير أنّه لا ينفي مطلقا إمكانية وجود بعض الهجرات سواء كانت أوروبية أو مشرقية امتزج أفرادها مع العنصر الليبي المحلي.

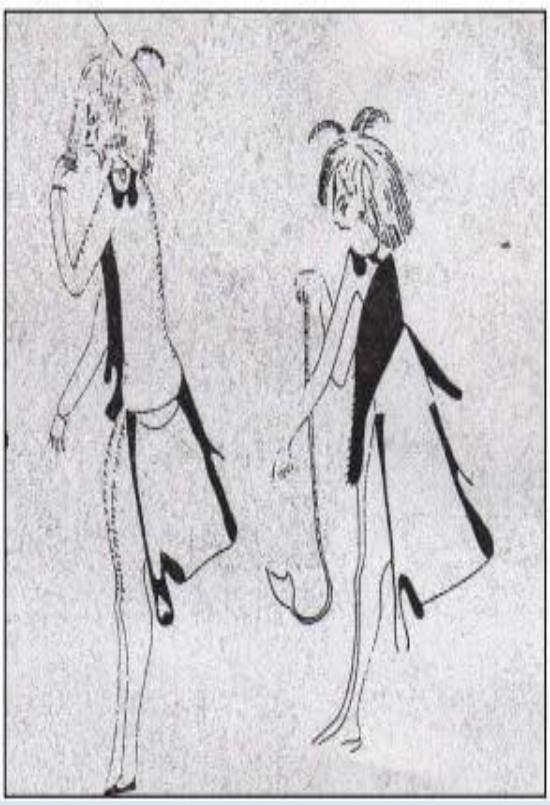

رسم صخري من تدرارت أكاكوس (ليبيا)

صورة تمثيلية لليبي حسب ما ورد في صور مقبرة بني حسن

**ج- أصل التسمية**

إنّ سكوت المصادر التاريخية القديمة وذكرهم للغرامنت من الناحية الطبيعية فقط، جعل مسألة تحديد أصل التسمية مسألة دقيقة وشائكة باعتبار هذه المصادر تطرقت لجغرافيا المنطقة فقط ،وكذا جهلنا للكثير من الحقائق التاريخية لهذا الشعب ..فكل هذا وذاك شجع على الاجتهاد بالافتراض.

اجتهد الكثير من الباحثين في التاريخ القديم حول تحديد أصل التسمية، ولا نعلم إن كانت هذه التسمية أطلقها الوافدون على الغرامنت أم أنّها محليّة الأصل، خاصّة في ظلّ الغموض و عدم الكشف عن أسرار كتابة الغرامنتيين، مماّ قد يقدّم لنا دراسات جديدة فيما يخصّ الغرامنت سواء من ناحية التسميّة أو من النّواحي الأخرى المختلفة، فاختلف الباحثون حول أصل تسمية الغرامنت بين من يرجع التسميّة في أصلها إلى مدينتهم جرمة ومن يرى الأصل الديني لهذه التسمية (**Garamantes**)، كما وردت عند هيرودوت كدليلٍ على ظهور شعب الجرامنت منذ بناء مدينتهم جرمة ، فسموا غرامنت نسبة إلى مدينتهم جرمة التي ستتحول إلى "عاصمة" المملكة المترامية الأطراف .

يَعتبر اللّغويّ ميرسيه (**Mercier**) تسمية غرمة مأخوذة من اسم القصر في اللغة الليبية القديمة و هو أغرم ، ثم إنّ أصل اسم الغرامنت مأخوذ من المدينة غرمة.

نجد لفظة أغرم تستخدم عند سكان غات لحد اليوم و المقصود بها المدينة أو أعلى المبني في المدينة، نفس المصطلح نجده في شمال الجزائر منطقة القبائل حيث أريد بها القصر و في صيغة الجمع نقول إغرمان بمعنى القصور ، فكلمة أغرم يمكن أن تعني القصر أو المدينة أو حتى القلعة (ثيغرامت) في اللغة الليبية القديمة .

دون عرض مختلف الآراء ذات الصلة بالجانب الديني كأسطورة "أرقو –**Argo**" الإغريقية أو نظرية عبدة أمون فإننا نرجح فكرة علم الأسماء و المواقع، نستخلص من خلال الاجتهادات التي قام بها بعض الباحثين من دراسات حول مصطلح جرمنت أو غرمنت في أصل تسميته وجود التطابق في بعض الآراء، فكلمة الغرامنت التي تعني أهل البيوت أو سكان المنازل عند الباحث الفرنسي(**Camps**) يؤكّدها الباحث اللغوي مارسيه ( **Mercier**) عند دراسته لنفس المصطلح بمقابلته بأهل القصر، وبالتالي فمن خلال الدراسة اللغويّة التي قام بها كلٌّ من الباحثين حول معنى وأصل التسمية ، وكذلك نقص المادة التاريخية المكتوبة، لا يسعنا إلاّ العودة إلى التراث المحلي في شكله اللغويّ حيث نجد في اللّغة الليبية القديمة مصطلح (**Ighrem**) يعني القصر أو القلعة (ثيغرمت) بالمفهوم اللغوي المحلي، و هذا المصطلح واسع الانتشار ،كما لا يزال استخدام الكلمة بمعناها اللغوي سائدا حتى الفترة الحالية ، فإن وُجد اختلاف من ناحية النّطق فهذا راجع لتعدّد اللهجات المحلية ،وهذا الرأي هو الأقرب من النّاحية اللغوية، إذ يمكن أن يكون الاسم محليّا راجعا للنّمط العمراني السائد في المنطقة ، قد تكون التسميّة موجودة قبل ظهور العاصمة غرمة وبالعودة إلى المفهوم اللّغويّ المحلي والمعنى الذي تحمله الكلمة.

هذه الآراء توحي إلى الأصل المحلي لتسميتهم وكذلك لتطابق بعض المعطيات التاريخية وكذا للمفهوم اللغوي الذي ظلّ يستعمل إلى غاية يومنا هذا ، بغضّ النّظر عن البعد الأسطوريّ لهذه التسمية التي من المحتمل أن تكون دخيلة على المنطقة من خلال أسطورة الإله أبوللو الذي يرجعه البعض إلى جدهم غراما لكنّها تبقى نسبية كونها نصّا أسطوريّا يحمل في طياته الخيال .

محاضرات الأستاذ خالد محفوظ

**د- الغرامنتيون في المصادر الأدبية الكلاسيكية**

تتمثل المصادر الأدبية الكلاسيكية في مؤلفات الكُتّاب القدماء ممّن أشاروا إلى الغرامنت في كتبهم ،وكلهم من الإغريق والرومان لذا فإنهم لم يتطرقوا في مؤلفاتهم إلى الغرامنت إلاّ عَرَضا ، وجلّ كتاباتهم حول الليبيين مجرد إشارات عابرة أو جغرافية أكثر منها تاريخية .

فقد اشتهر الإغريق بالدراسات الجغرافية للعالم ، إذ نجد بطليموس (100 م – 168 م) يحدّثنا عن موقع الغرامنت ويعطينا بعض المعلومات الجغرافية حوله في كتابه الرابع المعنون بالجغرافيا، وكذلك سترابون الذي يحدثنا عن الغرامنت محاولا تحديد موقعهم الجغرافي ، فيقول أنّ الإثيوبيين يبعدون عنهم بمسافة تسعة إلى عشرة أيّام ، أمّا الآمونيين فبمسافة خمسة عشر يوما .

أمّا المؤرخ بلين الأكبر فقد حدّثنا عن الحملة الرومانية ضدّ الغرامنت مخبرا لنا عن المدن الغرامنتية مثل غدامس، ماتلجا، دبريس، و جرمة عاصمة الغرامنتيين ،واصفا لنا تضاريس المنطقة من جبال ورمال لنجد بعض الإشارات عند تاكيتوس حين يحدثنا عن ثورةتاكفارناسبعد تحالف الغرامنت مع تاكفارناس ضد روما، مما يعطينا معلومات حول نظام الحكم المتمثل في الملكي وكذا طبيعة العلاقات بين الرومان و الغرامنت في زمن ثورة تاكفارناس.

يبقي هيرودوت أكثر المؤرخين تناولا للغرامنتمن مختلف النواحي منها الجغرافية بتحديد موقع الغرامنت على بعد عشرة أيام من واحة أوجلة و ثلاثين يوما عن موطن اللوطوفاج ، والاجتماعية بحديثه عن قيام الغرامنتيين بأسر الإثيوبيين، مما يوحي بامتلاك طبقة من العبيد ، والاقتصادية بتناوله لممارسة الغرامنت لنشاطَي الزراعة والرعي ،علاوة على تناوله للجانب الديني حيث ذكر أنّ كل الليبيين دون استثناء يقدمون القرابين للقمر والشمس ولم يُستثني الغرامنت من ذلك .

**الخريطةرقم (02) مجال التأثيرالغرامنتي حسب الكثيرمن الدراسات**

**ت- الغرامنتيون من خلالالمصادر المادية:**

خلّف الغرامنت من الآثار المادية ما بقي شاهدا على عمقهم الحضاري، فكان من أهم مخلفاتهم المادية العمران ، سواء كان دينيا، جنائزيا وحتى مدنياً، والرفات الجنائزية بالإضافة إلى الأثاث الجنائزي ، وبعض الكتابات التي لم تفكّ لحدّ الآن، علاوة على الفنّ الصّخري المنتشر في الفزّان الليبي. كما خلّد ذكرهم لدى الشعوب المجاورة لهم من المصريين القدماء وحتى لدى الإغريق و الرومان.

عند دراسة التاريخ الغرامنتي فإنّ الرّفات الجنائزي يمدّنا بالتأريخ الكرونولوجي لشعب الغرامنت عن طريق الكربون الرابع عشر $C_{14}$ الذي يستخدم لتحديد عمر الإنسان المتوفى، إضافة إلى دراسات لتحديد جنس المتوفّى ذكرا كان أم أنثى ، أسودا أو أبيضا أو حتى أسمرا. فدراسة المقابر الغرامنتية(أنظر الصورة رقم 01 + 02)أثبتت أنّ الشّعب الغرامنتي يتكون من سلالات مختلفة بيضاء ،سمراء ،وحتى سوداء. كما يدعم هذه النتائج الفنّ الصّخريّ بالمنطقة حيث نرى رسما لأعراق مختلفة بيضاء وسمراء و حتى سوداء .

**الصور01 + 02**

صورلطروز(**Bas relief**) تظهر التطور العمراني عند الغرامنت أين يظهر النشاط الزراعي و التجاري

نماذج من مقابر الغرامنت الأرستقراطية و البسيطة

كما تفيدنا الأدوات الجنائزية في تحديد العلاقات التي كانت تربط بين الغرامنت ومختلف الشعوب المجاورة لهم، فوجود أثاث جنائزي مصري، وكذا إغريقي و روماني وآخر من دول الساحل الإفريقي ، الأمر الذي دلّ على العلاقات التجارية الواسعة للغرامنت وتفتّحهم على مختلف الحضارات ، كما أنّ طريقة بناء المقابر وتطوّرها يدل على وجود تفتّح واطّلاع على الحضارات الأخرى وتأثير وتأثّر بها ، فالشّكل الهرميّ للمقابر ربّما يشير إلى الاطلاع على الثقافة المصريّة،أما فسيفساء الوطواط فهناك من الباحثين من يعتبرها دليلا على التأثير الرومانيّ و التفتح على الحضارة الرومانية. بينما نجد التأثير القرطاجي في استخدام شواهد للقبور.

الآثار المادية للغرامنت تعطينا العديد من المعلومات و تفيدنا في التأريخ لمختلف الجوانب الحضارية انطلاقا من الجانب الاجتماعي فهي تبيّن لنا تعدّد الأعراق من خلال الفنّ الصخريّ ودراسة الرفات ، إلى طبقات المجتمع من خلال الأدوات الجنائزية والعمران الجنائزي الذي يميز بين الطّبقات طبقة حاكمة تدفن في أماكن عالية وبناء فخم وأخرى ثريّة بأثاث جنائزي فخم وأخرى تمثل عامة الشّعب، وربما حتى العبيد، كما تبرز لنا عدة جوانب أخرى منها الجانب الاقتصادي فوجود أدوات جنائزية قَدِمت من مختلف الأماكن ، قد يدلّ على ازدهار التجارة وربط علاقات تجارية مع عدة شعوب في العالم القديم مصرية إغريقية، رومانية، وحتى مع شعوب دول السّاحل الإفريقي.(أنظر الخريطة رقم 02)كما أنّ وضعية الدفن إضافة إلى الأثاث الجنائزي ربما توحي بوجود عقيدة حياة ما بعد الموت، واستخدام شواهد للقبور على شكل اليد أو القرنين، الشيء الذي يُرجح ارتباطه بعبادة الإلهة تانيث، وقد توحي طاولات القرابين الموضوعة على القبور بوجود طقوس لتقديمها.

محفوظ خالد الأستاذ محاضرات

الخريطة رقم02:

خريطة شبكة الطرق التجارية التي تتوسطها جرمة (العاصمة) داخل الإطار

أستاذ خالد محفوظ